

المال والسعادة

يميل الناس عامة إلى ربط الشعور بالسعادة بتوفر المال لديهم. لذلك يحاول كل شخص تقريباً زيادة ما لديه من مال، غالباً بطرق مشروعة، وأحياناً بطرق ملتوية أو غير مشروعة. حين يحصل إنسان على قدر كبير من المال والثروة، يشعر بالسعادة ولو مؤقتاً، وذلك لأن المال يوفر له فرصاً جديدة تسمح له بشراء ما كان يتمنى أن يشتريه في الماضي من بضائع، وأن يمارس نشاطات ترفيهية كان من الصعب عليه ممارستها من قبل، كما يجعل بإمكانه أن يساعد مالياً بعض الأصدقاء والفقراء والقضايا. من ناحية ثانية، يتسبب التكاليف على جمع المال وتكديسه باعتباره الهدف الأول والأخير في تحويل الكثير من الأثرياء إلى ضحايا لجشع لا يتوقف عند حدود أو قيود، ما يجعلهم يشعرون بالوحدة وقدر من التعاسة بدلا من السعادة. المال لا يكفي وحده لشعور إنسان بالسعادة، إلا إذا اقترب بالرضا عن النفس والطمأنينة وقدر من القناعة.

حين يتميز ثري عن أقرانه وجيرانه بسبب ما لديه من مال وفير، فإن معارفه وجيرانه يشعرون عادة بالحسد والغيرة، وينتابهم شعور عارم بأنهم أصبحوا أكثر فقراً مما كانوا عليه في الماضي القريب، حتى وإن كان دخلهم قد زاد وأحوالهم المعيشية قد تحسنت عن ذي قبل. وحين يرى الثري ما يجول في خاطر وعيون المقربين إليه من حسد وغيرة، فإنه يجد نفسه مضطراً للابتعاد، وأحياناً الانعزال عن أصدقاء الأوس، ما يتسبب في شعوره بقدر من الوحدة والحزن.

إن المقارنة بين الذات والغير على أساس المال، والخوف على المال من حسد وغيرة المقربين، والنظر إلى المال باعتباره المقياس الوحيد لتقييم كل شيء ذا قيمة في الحياة يقود في كل الأحيان والحالات إلى تعميق ما هو سلبي من مشاعر لدى المشاركين في هذه المسرحية. وهذا من شأنه أن يتسبب في فقدان السعادة التي يسعى الإنسان الثري للحصول عليها، وشعوره أحياناً بالفشل في إدارة ماله وشؤون حياته. وهذا يعني أن المال ليس هو طريق السعادة، وأن السعادة لا تُشتري بالمال، إذ لا بد وأن يقترب المال، إن كان كثيراً وإن كان قليلاً، بالرضا عن النفس والقناعة والتمتع بالحياة. إن أعظم نبع للسعادة هو فرحة صغيرة يفرسها قوي في قلوب التعساء، وبسمة خجولة يضيئها ثري بحبه وماله في عيون الفقراء.

